الفصل التاسع

الـتخريب

من النادر أن نجد طفلاً يميل إلي التخريب عن قصدٍ أو عن عبث،مع أنَّ الأطفال أثناء نموِّهم،كثيراً ما يعمدون إلي إيقاع التلف،لا بما يملكون فحسب،بل بكُلِّ ما يصلون إليه من أشياء أو مقتنيات،وهو تلف يبدو لا مبرر له،غير أن النتائج السيئة لأفعال الأطفال ليست سوي أمور عارضة،تقع أثناء محاولة الطفل تحقيق هدفه،والعمل علي نجاح الفكرة التي نشأت في رأسه الصغير.

❁ مظاهر وأسباب ظاهرة التخريب:

المعروف أن النشاط والحركة أمران لازمان للأطفال،إذ يتعلَّم الطفل السَّوي بتقليد مَنْ حوله،وفحص الأشياء تحقيقاً لإشباع حُبِّهُ للمعرفة والاستطلاع.

والطفل في سنيه الأوَّلي لا يُدرك قيمة الأشياء،ومع هذا فما أكبر الثورة التي تصدر عن الكبار،إذا أوقع الطفل الصَّغير شيئاً تعتز به الأسرة.

ونشاط الطفل ـ علي قلة تناسقه وشدَّة غموضه في بعض الأحايين ـ لا يخلو من هدف مُعيَّن لأنَّ وراءه خطة تحركه،وأمامه غرضاً يرمي إليه،فإذا لجأ إلي الجذب أو الكسر أو التمزيق أو التقطيع،فإنَّه قلَّما يفعل ذلك عن سوء نيَّة،ولكن ذلك يصدر عنه قصداً في بعض الأحايين،وعفواً في بعضها الآخر،فهو يجذب غطاء المائدة كي يستعين به علي النهوض،وهو يقطع جوربه؛حتى يُظهر قدرته علي استعمال المقص المعدني المُدْهِش.ولا يبدو له أن ما وصل إليه من نتائج جديدة يلحق ضرراً يُغضب الآخرين،فيتملَّكهُ العجب والحزن إذا وجد والديه لا يرضيان عن أفعاله،ويأسي لما ينزل به من لوم وتقريع.وإذا كنا نبغي حقاً حماية الطفل من اندفاعه إلي التخريب،يجب أن نفحص كُلّ الظروف التي أدت به إلي ذلك،وأن ندركها تمام الإدراك.

ويمكن تفادي ميل الصِّغار إلي التدمير والتخريب؛إذا خصَّص الآباء لأطفالهم غرفة أو مكاناً ليلعبوا فيه كيفما شاءوا.

ولأنَّ جوّ المنزل يعج أحياناً بالمغريات التي تجذب الطفل،فهو لا يستطيع أن يقاوم ما يجذبه إلي التناول والفحص،وسرعان ما يؤدي إلحاح الآباء علي الطفل بالكفِّ عن نشاطه إلي إدمان التوبيخ،الذي يأتي عنه غضب الآباء والعصيان الصريح عند الطفل،ومع ذلك فإنَّه يمكن أن نتجنَّب كثيراً هذا الاحتكاك،لو أمكن أن يكون للطفل حجرة ألعابه الخاصَّة،أو ركن يستطيع أن يلهو فيه بعيداً عن تدخل الآخرين.

وقد يرجع التخريب والتحطيم إلي الغيرة أو الغضب،أو إلي صراع عقلي مبهم عميق،أو إلي موقف جديد في البيئة،أو إلي تعرُّض الطفل لمواقف الإحباط والإعاقة وعدم الشعور بالرَّاحة والأمان،لهذا يجب أن نري هذه المواقف الانفعاليَّة بتبصُّرٍ ووعي،وأن نعني بعلاجها قدر استطاعتنا،أي يجب أن نبذل كُلّ جهدٍ للوقوف علي الأسباب والقضاء عليها.

وقد يكون التخريب ناتجاً عن عدم تعليم الأطفال المحافظة علي الأثاث والمقتنيات، وكيفية الاستخدام الصحيح للأشياء.

❁ اتجاه القسوة،وتدعيم السلوك التخريب:

يتمثَّل « اتجاه القسوة » The direction of cruelty في استخدام أساليب العقاب البدني أو التهديد به،أي كُلّ ما يؤدي إلي إثارة الألم الجسمي كأسلوبٍ في عمليَّة تنشئة الطفل وتربيته.ويتضح هذا الأسلوب عادةً في الأُسر التي تفهم معني الرجولة علي أنَّها الخشونة والتجهُّم وعدم التبسط مع الصِّغار،وتُفهم أيضاً علي أنَّها الأوامر والنواهي والعقاب؛فالطفل إذا نجح في المدرسة،وحصل علي درجات لا يرضي عنها الأب،يُضرب ويُعاقب لعدم حصوله علي الدرجات النهائية،دون مراعاة الأب لقدرات طفله وإمكاناته الذهنيَّة.وإذا أرسلته الأمّ ليبتاع لها حاجياتها وأخفق في شراء ما تبغي،تُصر علي عقابه البدني بقسوةٍ وعنف.

ويترتب علي هذا الاتجاه شخصيَّة مُتمرِّدة،تنزع إلي الخروج علي قواعد السلوك المتعارف عليها كوسيلةٍ للتنفيس والتعويض عمَّا تعرَّض له من قسوةٍ في صِغره.وعلي هذا..فإنَّ هذه الشخصيَّة ينتجُ عنها السلوك العدواني المُقترن بالتخريب،فنراه يتلف حاجيات رفاقه أو ممتلكات مدرسته،دون أي إحساس بالذَّنب أو التأنيب.فمثل هذا الفرد لم يشعر بانتمائه لأسرته،أو مدرسته،ولا حُبَّهم له،ولا بثقته فيهم،وبالتالي يُنفِّس عن كُلّ هذه الأحاسيس بالتخريب في كُلِّ ما لا يمتلكه ولا يُخس به.

❁ العلاقة بين التخريب،والحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع:

ينمو حُبّ الاستطلاع عند الطفل منذ الشهر السَّابع تقريباً،ويزداد مع تقدُّمه في العُمْر،ويبدو ذلك في محاولات الطفل لاختبار كُلّ ما يقع تحت يديه،فكثيراً ما نُلاحظ الطفل يحاول أن يقبض علي الأشياء بيديه ليفحصها،والواقع أنَّ الطفل يُحاول بهذا السلوك أن يتعرَّف علي كُلّ شئ جديد في بيئته،ويحاول أن يختبره،كما أن لعب الطفل المبكر وتناوله لكُلِّ ما حوله،وما يقع تحت بصره ويديه،وبَحثّه وتنقيبه هنا وهناك فيما تحت يديه أو حوله ليس إلَّا إشباعاً لحاجته إلي المعرفة والبحث والاستطلاع. ويري"ماكدوجال"Mcdougall إنَّ الذي يجعل الطفل يعبث فيما حوله من أشياءٍ هو حُبّ الاستطلاع.

ويجب أن ندرك أنَّ كثيراً من أنواع النشاط التي يعتبرها الكبار نشاطاً هداماً،إنما هي عند الطفل بناء وتعمير،فهي تمثل جهداً يبذله للوقوف علي القوانين الطبيعيَّة التي تقوم عليها الأشياء التي يتناولها بالبحث والاستطلاع.والأرجح أنَّ الصَّغير الذي لا يُثير استطلاعه رنين الجرس الكهربائي،أو الأجهزة الآلية التي يقع عليها بصره،الأغلب أن يكون مثل هذا الصغير مستغلق الذهن.

وكثيراً ما يجد الصِّغار سعياً وراء الوقوف علي تركيب بعض اللُّعب أن من اللَّازم تفكيكها.وينبغي بالطبع أن نمنع الأطفال من التخريب في الأشياء الثمينة التي يسهل إتلافها،دون أن يكون للطفل في ذلك من المتعة أكثر ممَّا في لُعبةٍ زهيدة الثمن.ويمكن أن تنصرف ميول الأطفال إلي التحطيم نحو أمورٍ لا يضيق بها الآباء،لو تمكنوا من انتقاء اللُّعب المناسبة لهم.ومن الأجدر أن نذكر أن اللُّعب التي يمكن إعادة تنظيمها علي عدة وجوه(مثل:القوالب والمكعبات التي تثبني ثُمَّ تُهدم)هي لُعب مهمة عظيمة النفع،كمنصرفٍ تسير فيه ميول الطفل إلي التشييد والبناء.

ويجب أن نفرِّق بين ميول الهدم التي من خلالها يشبع الطفل ميله إلي الاستطلاع،وبين ميول الهدم التي تبدو أحياناً،دون أن يبتغي منها الطفل غرضاً مُعيَّناً،بل تصدر عن عدم المبالاة والاستخفاف بقيمة الأشياء،ويغلب أن تظهر هذه الميول في الطفل،إذا أُغدقت عليه اللُّعب ووسائل التسلية أكثر من القدر المعقول.

❁ سُبُل الوقاية،وأساليب العلاج الممكنة:

* لابدّ أن نُجنِّب أطفالنا مواقف الإحباط،وأن نمنحهم ـ قدر استطاعتنا ـ مشاعر الحُبِّ والحنوّ والأمن،وأن نُجنِّبهم كذلك مغبة التنشئة الاجتماعيَّة،التي تعتمد علي الطاعة العمياء، وحُبّ النظام الصارم خشية أن يشبوا،وقد تصدَّع بداخلهم صرح التجديد والابتكار والإبداع.

* لابدّ من تدريبهم منذ نعومة أظفارهم علي إمكانية المحافظة علي الأثاث والمقتنيات، وكيفية الاستخدام الأمثل للأشياء،مع احترام ملكية الآخرين،وذلك بتقوية جهاز«الأنا» Ego لديهم.

* كما هو معروف أن اللَّعب تستحثه بواعث حُبّ الإستطلاع والتجريب،وهو يكشف عن فردية الطفل وما لديه من قوّي وإمكانات وقدرات.والمُلاحظ أن الأطفال لا يكفون عن اللَّعب لفترةٍ طويلةٍ،علي الرغم من التَّعب والإعياء،وبذلك يتضح أن الدافع للَّعب ليس ما يشعر به الطفل من نشاطٍ زائدٍ فحسب،بل إن نشاط اللَّعب هو غاية في حدِّ ذاته،أي أن الطفل يقوم بإمتاع نفسه باللَّعب؛فيُحقِّق بالتالي اللَّذة والارتياح.وعلي ذلك فاللَّعب وسيلة مهمة من الوسائل التي تقي الأطفال مغبة السلوك التخريبي.

ونود أن نُشير إلي أن بعض الآباء أو الأُمَّهات يُغْرِقون أبناءهم باللُّعب الآلية المُعقَّدة في تركيبها،والتي لا تؤدي غرضاً نافعاً،وهم بذلك لا يشبعون حُبّ استطلاعهم،ولا يشجعونهم علي الملاحظة والمعرفة والابتكار،فكثيراً ما يقوم أحد الوالدين بما يلزم لدفع تلك اللُّعب إلي الحركة،بينما يجلس الطفل الصغير كسولاً يُشاهد ولا يُشارك فيها،ينتقل من لُعبةٍ إلي أخري في مللٍ وضيقٍ وتبرُّمٍ.

وفي انتقاء اللُّعب،ينبغي أن يزود الصِّغار بلُعبٍ بسيطةٍ متقنة الصُنع،يمكن تفكيكها وتركيبها،دون أن يلحقها التلف.كما يجب توفير المكان،الذي يستطيع أن يقوم فيه الطفل بعملياته وألعابه،دون أن يُتابعه الكبار كفّاً أو توجيهاً.

* ضرورة توفير مثيرات متنوعة واسعة للطفل؛حتى نتيح له إمكانات التعجب والتساؤل والتجريب والتفكير والبحث والملاحظة،من خلال توجيه أنشطة الطفل إلي المواد أو الأدوات التي يستخدمها في بيئته،مثل:اللُّعب والكتب والخرائط وغيرها.كما أن المجتمع يستطيع بمختلف مؤسساته أن يكون مجالاً للمثيرات والخبرات اللّازمة لنموّ الطفل،وإشباع حاجاته إلي البحث وحُبّ الاستطلاع.

* إنَّ توجيه نزعة الطفل وحاجاته إلي البحث وحُبّ الاستطلاع وإكسابه ثقافة مجتمعية،وتنمية خبراته السَّويَّة المناهضة للأساليب التخريبية،بتوسيع نطاق البيئة التي يعيش فيها؛فاصطحاب الطفل في نزهاتٍ وجولاتٍ ورحلاتٍ تجعله ينطلق في حُرِّيَّةٍ وتزداد حصيلته بالخبرات والمفاهيم الصحيحة.وتكون هذه النزهات والرحلات أداة لتعويد الطفل العادات الاجتماعيَّة والسلوكيَّة السليمة،كعدم إتلاف المزروعات أو الاعتداء علي الأزهار،وبذلك يكتسب قيمة احترام الملكية العامَّة.

* وفي إطار الاهتمام بتعديل السلوك التخريبي للطفل وتقويمه،ينبغي أن نهتم بتنمية هواياته،كهواية جمع الطوابع البريدية،والعملات التذكارية المختلفة من أقطار مُتعدِّدة،كذلك جمع الصور النادرة،وجمع الفراشات،كما يمكن تنمية هوايات أخري للطفل،مثل: التصوير، والرسم،والزخرفة،والعزف،وبذلك نُنمي حُبّ الجمال والتذوق الفني لديه،وفي الوقت نفسه نشبع حاجته إلي البحث والمعرفة وحُبّ الاستطلاع،فنحافظ ونصون شخصيَّته المتنامية من مغبة السلوك التخريبي.

❁❁❁